رحلة
الأقدار

الفصل السابع

كنت وزيرًا للثقافة

المبحث الأول

صراع الكبار
داخل المجلس الأعلى للثقافة

بعد أن عينت وزيرا للثقافة استدعاني الرئيس عبد الناصر وأبلغني أن هناك شلة في المجلس الأعلى للثقافة يوزعون جوائز الدولة فيما بينهم دون معايير، وأثناء تواجدي في الوزارة أردت أن أمنح عباس محمود العقاد جائزة الدولة ، وأنا أعلم أن طه حسين لن يرضى ، وكان هناك حب بيني وبين بالدكتور طه حسين، لأن أقدم جامعة في فرنسا كانت تحتفل بعيدها المئوي واختاروا أربع علماء على مستوى العالم كنت واحدًا منهم ،وقد أسعد الدكتور طه حسين هذا الاختيار وكلمني وقال لي «أنا أخذت جائزة من فرنسا وكويس إنك أنت أخذت نفس الجائزة لأنه لا يوجد في العالم العربي من أخذ تلك الجوائز إلا أنا وأنت» وقد كان د. طه يحب الفلوس، وفي عام 1956 قلت له يا دكتور طه اكتب لنا مقالة فى مجلة مصلحة الاستعلامات فقال لي «بكام» فقلت له «اللي انت عاوزه» فقال «أنا لا آخذ إلا كذا» ولم أكن وقتها أعرف الكثير عن النظام المدني وكنت وقتها منقولا من مدير مكتب عبد الناصر إلى مصلحة الاستعلامات، فأتيت بالرجل مدير الميزانية وقلت له نريد مبلغ 100 جنيه علشان الدكتور طه حسين ونحن في حرب الآن وهيكتب لنا مقالة عن مصر والحالة التي نعيش فيها، فإذا بالرجل يسألني «وفين المقال» فقلت له المقالة ستأتي بعد دفع الفلوس فقال لي «قانون اللائحة المالية يقول لابد من استثمارة 111ع. ح ويتم إدخالها المخزن وبعد خروجها وإعطائه الفلوس يبقى نعمل استثمارة 112 ع. ح» فقلت له استثمارة إيه وطلبت منه أن يأتي باللائحة لكي أقرأها وجلست أقرأ في أساليب البيروقراطيات فوجدت فيها

مادة تقول يجوز لمدير المصلحة أن يأخذ سلفة للصرف منها في الأمـور العاجلـة فطلبت منه أن يعطيني 500 جنيه من تلك السلفة ، وكلمت الدكتور طه وقلت لـه «هل كتبت المقالة فقال لم أكتب حتى أحصل على ثمن مـا أكتـب» ... وفي حـديثي معه قلت له يا دكتور طـه إذا سـمحت نريـد إعطـاء عبـاس العقـاد جـائزة الدولـة التقديرية فقال لي «هل تعطي هذه الجائزة لرجل لا يحمل أي شهادة من الحكومـة المصرية في التعليم» فقلت له «هذا عباس العقاد» ودخلت لـه مـن بـاب السياسـة وقلت له «سياسيًا نحن نريد أن نبرز الأدباء في العالم العربي وأخذت أعدد محاسن العقاد» فقال لي «من أجل خاطرك أنا سأوافق وفي أثناء الجلسة »فقام عباس العقـاد وقال أستأذن سيادة الرئيس حتى يكون هناك حريـة في إعطـاء الجـائزة، فتـدخلت وقلت الكلمة الآن للدكتور طه حسين فقال «إذا لم نعطي عباس العقـاد جـائزة ... فلمن نعطيها» فقلت للعقاد «ستلقي كلمة أمام الرئيس جمال عبـد الناصـر فقـال لي سأكتبها وأعرضها عليك قبل إلقائها فكتـب يقـول »لقـد تشـرفت جـائزة الدولـة التقديرية بإعطائي هذا، فهذا شرف لها قبل أن يكون شرفًا لي« وقبل أن يلقي كلمته نظر لي وجاءني وقال »حبي لك شـديد وهـل يرضـيك الميكرفـون أمـام الـرئيس، وقاموا بإنزاله من أجل أن يقف عباس العقـاد منحنيـا أمـام الـرئيس ... فقلـت لـه سأرفع الميكرفون».

وكان العقاد صديقًا لأنيس منصور الذي جاء في أحد المرات وقـال لي «العقـاد »،حالته الصحية سيئة وليس معه فلوس فقلت لـه عنـدي بنـد في الميزانيـة سـوف أعطي له مبلغ لشراء بعض الكتب ويشاء القدر أنني فهمت أن العقـاد سـوف يـأتي إلى هنا، ولكنني فوجئت بمصطفى أمين يتصل بي ويقول «لماذا لم تـذهب لمقابلـة العقاد.. اذهب له في بيته ، فقلت له أنا حاطط الفلوس في ظرف وعندما يأتي سوف أعطيها له فقال لي مصطفى أمين «لا» دا العقاد قـال «عبـاس العقـاد لا يسـتجدي الحكومة والحكومة هي التي تأتي إليّ ولا أذهب إليها وقفل الباب».

المبحث الثاني

للثقافة وطن والعلم لا وطن له

عندما توليت الثقافة وضعت نصب عيني تنشيط جوانبها المتعددة وانتبهت إلى الدور الفعال ، فهناك إنتاج سينمائى ومسرحى يؤرخ ويعبر عن قضايا نا كمصر وكأمة عربية، فعرضت الأمر على الرئيس عبد الناصر فوافق وقال لى اشتغل ،فجئنا بالممثلين الذين كان أغلبهم يعمل خارج مصر في تركيا وغيرها من الدول، وقمت بعمل عشر فرق مسرحية متخصصة مثل «المسرح الكوميدي والمسرح العالمي والمسرح الحديث من أجل الرأي العام... إلخ، وأوجدت نوع من المتعة لدى الرأي العام بمختلف فئاته وكما نقول دائمًا »فإن العلم لا وطن له ولكن للثقافة وطن« ولا يمكن للثقافة أن ترتقي إلا إذا كان لها وسائل إعلام وإلا ستنحصر فكانت الفكرة الأساسية أنه لابد أن يكون هناك ملازم للثقافة بأنواعها المختلفة وسائل وخصوصًا في شعب متعدد الثقافات ويحتاج إلى ثقافات مختلفة فيجب أن تغطي كل الرأي العام وعندما انتشرت وجدت جميع الفنانين الذين كانوا يعملون بالخارج اليوم هم الذين يقودون المسرح.

عادل إمام ود. حاتم

وقد صنع الإنتاج القومى فى المسرح والسينما أجيالا منهم من رحل ومنهم من يعتلى قمة الهرم الآن وقد ربطتنى بعادل إمام علاقة طيبة إلى الآن منذ ان كان يعمل فى المسرح القومى فحتى الآن لا يدخل عادل إمام في عزاء أو يراني في مكان إلا ويقبل يدي وعلاقته بي ترجع لعدة عقود، فقد طلبته من على المسرح عندما كان مع فؤاد المهندس في مسرحة« السكرتير الفني »عندما كان يؤدي دوره كسكرتير

محامي لفؤاد المهندس وأتى عملاء المكتب وأخذ عادل إمام يتحدث معهم بنوع من التعالي كوكيل للمحامي. فسأله أحد الزباين في المكتب «إنت بتشتغل إيه ... فقال له أنا كل حاجة .. فقال له إنت المحامي فقال له لا أنا وكيله» وأثناء مشاهدتي لهذا المشهد فأنا كنت أراقب المسرح لأن هناك شتائم وأشياء أخرى لدى الشعب المصري ويعتبروها عادي فأنا مهمتي كوزير إعلامي أو وزير ثقافة هو توصيل ثقافة أو إعلام مهذب وتعليم الناس.

بلد بتاعت شهادات

طلبت عادل إمام عندما كنت فى المسرح أشاهد مسرحية «السكرتير الفنى » فجاءنى بعد أن أدى دوره ، فسألته عن إسمه ومؤهله فقال عادل إمام ومعي مؤهل بكالوريوس زراعة، فقلت له أريد منك أثناء قولك في المشهد أنا بعمل كل حاجة وغيره تقول «بلد بتاعت شهادات» وأخذ عادل إمام يرددها عندما يتكرر المشهد، وفي أحد الأيام الساعة 1 مساءًا رن جرس التليفون وكانت المسرحية معروضة في التلفزيون في هذا اليوم فرفعت السماعة فوجدت من يقولي لي «أنا جمال يا دكتور حاتم ... وقال لي أنا عندي رسالة أريد أن أقولها لك..» الأسرة كلها جنبي وقالوا لي اتصل بالدكتور حاتم وقل له يا دكتور حاتم خليتنا نضحك طول الوقت... وأكيد كل أسرة في مصر عمالة تضحك ومبسوطة وبتتلم طول الوقت بدلا من جلوس رب الأسرة على المقاهي وغيره، وقال لي أنا سمعته بيقول «بلد بتاعت شهادات» إيه الحكاية دي «فأنا فوجئت لأن الناس دايمًا لما بتضحك قوي في مصر يقولوا «اللهم إجعله خير» فأردت إيصال رسالة معينة إلى الرئيس ففكرت أثناء حديثي معه وقلت «ماوس تونج قال »الثقافة دي نوع معين لكل بلد والرجل المثقف أكثر معرفة من الرجل الذي معه شهادة لأن الذي لا يحمل الشهادة تكون لديه عقدة نفسية تجعله دائم الاطلاع حتى يكون كثير المعرفة وعلى علم بالثقافات المختلفة« وسيادتك في مصر تنادي بفتح مدارس كثيرة لكننا في أجهزة الإعلام والثقافة يجب أن نزيد من جرعات الإعلام والثقافة لأننا لن نستطيع عمل

مدارس كثيرة فأردت أن نوجد الرجل المثقف الذى قد يكون فى أحيان كثيرة أفضل في الحياة من بعض حاملي الشهادات ، ومشاهدة البرامج وغيرها تزيد من تلك الفئة فأنا قلت هذا المبدأ كشعار من طبيعة النظام الذي نعمل فيه ... فقال إلى الرئيس هذا جيد».

في هذا الوقت كان الشيوعيين ضدي فلم يعجبهم هذا النظام فأخذوا يتحدثون عن الكم والكيف، ويقولون نحن نريد الكيف ولا نريد الكم.

لذا من الواجب علينا في كل عصر أن ننظر إلى طبيعة البلد ماذا تحتاج ... فطبيعة البلد يجب ألا نعزل المثقفين في أجهزة معينة.

الإعلام أكبر خادم للثقافة

لقد ساهم الإعلام في خدمة العديد من القضايا الثقافية والأمنية والإستراتيجية، ففي أوقات كثيرة تكون الحكومة جيدة جدًا ولكن إعلامها لا يستطيع توصيل إنجازاتها وأعمالها إلى الناس فتصاب بخيبة أمل، وهذا أيضًا في الثقافة فقد تكون مصر متقدمة في الثقافة والمسائل الثقافية المختلفة ولكن لابد أن يلازم هذا إعلام ففي العالم العربى الأغنية المصرية والنكتة المصرية تنتشر بصورة كبيرة جدا، فمثلا عندما كان يخطب عبد الناصر نسمع ماذا يقول العالم العربي فالفكرة ليست عملية فصل بين الثقافة والإعلام بل الثقافة تستفيد من الإعلام، فإذا كان لدى الثقافة من الأجهزة ما تؤدي به هذا الدور الهام العالمي فتكتفي بنفسها وهذا بحسب الرجل الذي يقودها فإذا كان متقوقع ويقوم بعمل أشياء ثقافية مهمة جدًا ولكن لا تنتشر بين المواطنين أو بين الثقافة المصرية العالمية فيكون مردودها خيبه الأمل.